

العودة إلى الأنا

بقلم

و. عائشة صليح بابصيدة

قالت:

ظننتُ أن الحكاية انتهت

لكن!!

لم تنته

الخوف والتردد قد اعتصر جنباتي

بتُّ والوجل يكسوني

رغم ذلك أغمضت عينيّ و أنا أردّد طلبه : قولي أحبّك

كأنما صارت أذكار ما قبل النوم

ورحلت إلى حلمٍ جميل ..

جنونٌ بلا حدود ... غرامٌ ليس له سدود ...

لكن !!  
للعقل سيطرةً طاغية  
تقف عندها النهى الواعية  
صوتُ تأنيبِ الفضيلة يؤلمني ... وصورتها تؤرّقني ..  
و جُرْمِي أن سايرتُ  
مَنْ عشق الصوتَ قبل العين  
بإعلانه ما في الخواطر ... و بوح المشاعر  
فانتشيتُ .. واعتليتُ منصته ...  
وصرتُ بين يديه دميةً  
ينظمُ لها أجملَ القوافي ...  
ويردّد في هواها أعذبَ الأغاني ...  
ويهيمُ بها كاتباً أرقّ التهاني ...

حتى أنا منذ زمنٍ تركت الكتابة ..

أحسستُ أنّ قلّمي جفّ ..

و أن عواطفِي قد نضبت ..

واليوم ..

أجد أنّي قد بُعثتُ حياة الحبّ من جديد ...

وتلوّنتُ مشاعري ...

واخضرتُ ...

بل قد أورقتُ ..

أحاسيسٌ جميلةٌ عادتُ إليّ

بعد أن غابتُ عندي في تعرجاتِ الحياة

فناديتُ على قلّمي ..

لأحبرّ به نثري ..

عجزتُ عن التفكير

هل أطواع نفسي في هواها؟؟

أو أكبح جماح الفرس و أجمها؟؟

أشعر بأني صبيّة ضربت بكل ما تعلمته عرض الحائط

إنه شعورٌ قد ذبل ... لكنه الآن يصحو ويتجدد

تتلاطم أمواج نفسي ... وإلى أين سترسو سفينتي؟

هل أفكر بعقلي..؟

ثم تكون النتيجة الخسران ... أو أفكر بقلي فقط ..

ثم أيضا قد يتحطم مركبي ..

نعم يتحطم على يديه .. فيخذلني ..

وحينها سأنكسر انكسارا...

لن تسامحني **الأنا** عليه!!

## فأمسكتُ قلمي

ليكون مخرجي من الظلمة ... ومّا أجده في نفسي من الكسرة  
شيطاني طاوَعْتُ ... وعلى تمّماته وافقتُ .. وفي عوالمه ارتميتُ

ازداد ألمي ... واشتعلتُ حرقتي ...

شعرتُ أيّ ذات القناعين

ضيّعتُ جمالي ... وشوّهتُ روحي ...

بلوثةٍ خافية

سيُسدلُ السّتار

على قصّةٍ لم تكتمل أركانها ..

و لا طال حوار العشّاق فيها ..

و ما كان الخيالُ وافراً الظلال بين ردهاتها ..

ها هو ذا اليوم البعيد .. قد اقترب  
وقعت بين متناقضين  
فضيلةٌ هي ردائي ..  
و هي غطائي .. و دوائي ..  
وإبليسةٌ تسربتُ فيها..  
ولن يكون هناك لقاء بين ملك وشيطان  
نعم الهوى بينهما قائم ... والعشق منهما جارٍ  
لكن سيصعبُ القرار!  
بالاستمرار ...  
أو بالاستدبار ...  
فما السبيلُ لقلبٍ ملكه عقل !  
وهذا العقل **الأنا** فيه عالية!!

طاوعت نفسي .. ولم أستمع إلى الأنا

فأجبرتها صاغرة أمام الرغبات

باتت لذّة ممزوجة بندم

وفي لحظة..

صحت الأنا الموسومة بالفضيلة..

وهي إليّ الحبيبة ..

وحمدا لله أنّها القريبة ....

وصاحبة المكانة الرفيعة ..

تحدّر دمعي ....

و لفّ صمتي المكان .. لكن قد فات الأوان ...

وقد كان ما كان

قررتُ أن أعود لنفسي

وألأ أطيل الضياع

فكانت المصارحة بالمواربة ..  
فلن أقوى على المواجهة ..  
وعلى عتبات قلبي وقفتُ .. وبقوّةٍ صحتُ  
أن الظلام والنور لا يجتمعان .. والطهر والكدر لا يلتقيان ..  
عشت دوماً في أنوارٍ تحفني  
فكيف أقبل بظلمة الليل !؟  
ظلام يمتدُّ حتى بعد انتهاء ليلي  
فما صارت شمسي مشرقة .. ولا باتت نجومى متألئة .. ولم !!  
لأني ارتضيتُ حياة الخفافيش ..  
و انغمستُ في وادٍ مَنْ ورده هلك  
وما ذاك مبتغاي .. و لا إليه منتهاي ...

مع الصباح تنفّستُ القرار  
وعزمتُ عليه بقوةٍ و إصرار

.....

و احترت كيف السبيلُ للإعلان  
حتى أصدع نفسي بما أمرها به ... و أعرض عن هواها ...

فصوته يأسرني ..

ونداءاته المتتالية **أحبك** تضعفني

وعشق سماعه **أحبك** مني يسحرني

حينها أصير ..

بين ذراعيه مضمومة ...

وتحت ردائه ملفوفة ...

وفي ثنايا عطره مجنونة ...

فاهتديتُ إلى حروفي  
لأركنَ إليها ... و أستندَ عليها ...  
فلها أثرٌ و تأثير  
وهي السبيلُ الأمثل  
للوصول إلى ملكي المبجل  
فحبّرتُ له السطور  
محرّرةً فيها آخر الفصول

.....

فصلٌ حروفه طالتُ  
لأني قد كتبتُهُ  
بدمعِ مقلتي ...  
لا بقلمي ...

دَوْنْتُ لَه : أَحَبِّكَ .. أَحَبِّكَ

و أقولها ثلاثة أدوي بها كما كنت ترغب ... أَحَبِّكَ

لكن !!

لقد حان موعد الفراق ...

بعد لحظات الحب والاشتياق ..

هي الأنا الجموح ..

لم تقوَ على الصمود ..

ليلتها بالأمس لم تنم ...

والأرق تناوب عليها ...

فطار النوم من جفنيها ..

قد أجبرتها على ما كانت تخشاه ...

فحدث ما لا تحمد عقباه ...

والله ما ادّعت الفضيلة .. لكني هكذا عشت دون خطيئة ..

أكتب إليك ودمعي على الخدين تحدر

وعاندتك اليوم لأني عازمة ...

ولحبي لك مفارقة ...

فلا بد من ذاك الفراق ...

نعم إنه الفراق ..

لأعود لنفسي .. الأنا ..

و أحاول أن أشرق من جديد حتى لا أذبل ..

وكيف سأستطيع؟!

حقيقة لا أعلم ..

وحبك مني قد ضاع!!

لكن لا سبيل لي إلا أن أذعن

و أرفع رايتي منهزمة

وكفي للرحمن مبتهلة

علنا في دروب الحياة...

نلتقي ...

أو لا نلتقي...

لكن الأکید.. والذي عنه لن أحمید ..

هي أيامٌ جميلةٌ لي ... وذكري لن تُنسى ...

سأستنشقُ عبقها الزاكي

لأنك يا حبيبي

نقشتَ فيها **الحبَّ** والهوى ..

وغنيتَ فيها أرقَّ القوافي ..

و غرّدتَ كالبلبلِ الصّداح

حولي...

ولي ...

وعني ...

و العاشقُ لمنْ يعشقُ مطاوع

بعد أن وجد ...

حبّه الصادق

والوفاء الناصع

يا حبيبي

ارفقْ بحالي ...

و اقبلْ اعتذاري ...

لتبقى ذكراك في فؤادي ..

وتخلد آهاتك في خيالي ..

و أشمّ عطرك في ثيابي ..

فتكون حاضرا غائبا في حياتي ...

وإن راق لك  
فلنكن عشاقا حال بينهما الالتقاء  
وسأرضى منك **بحب** وغرام  
حقيقته لي ...  
ومجازه لغيري ...  
أكون فيه تلك الوفيّة ..  
ومعشوقتك الشيقة ..  
ومهرتك الجامحة الأبيّة ..  
التي لا ترضى بظلمة ليل ...  
ولا تسترق لحظات **حبها** وضح النهار

و إن لم يَرُقْ حال الحُبِّ هذا ..

فلا أدري ما أنت بي فاعلٌ ..

ولا بالحُبِّ بيننا صانعٌ ..

أما عني فسيعلو في الخفاء قولي:

أحبك ...

أحبك ...

أحبك ...

وسأسدل الستار في العفن ...

لأني بدأت رحلتي ...

العودة إلى الأنا ...